

تفسير البغوي

148 - { سيقول الذين أشركوا } لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك باء وتحريم ما لم يحرمه اء [قالوا] { لو شاء اء ما أشركنا ولا آباؤنا } من قبل { ولا حرمانا من شيء } من البحائر والسوائب وغيرهما أرادوا أن يجعلوا قوله : { لو شاء اء ما أشركنا } حجة لهم على إقامتهم على الشرك وقالوا إن اء تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك فقال اء تعالى تكذبا لهم : { كذلك كذب الذين من قبلهم } من كفار الأمم الخالية { حتى ذاقوا بأسنا } عذابنا .

ويستدل أهل القدر بهذه الآية يقولون : إنهم لما قالوا : لو شاء اء ما أشركنا كذبهم اء ورد عليهم فقال : { كذلك كذب الذين من قبلهم } . قلنا : التكذيب ليس في قولهم { لو شاء اء ما أشركنا } بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم : إن اء تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الأعراف (الآية 28) : { وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا واء أمرنا بها } فالرد عليهم في هذا كما قال تعالى : { قل إن اء لا يأمر بالفحشاء } .

والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم : { لو شاء اء ما أشركنا } قوله : { كذلك كذب الذين من قبلهم } بالتشديد ولو كان ذلك خبرا من اء D عن كذبهم في قولهم : { لو شاء اء ما أشركنا } لقال كذب الذين [من قبلهم] بالتخفيف فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب وقال الحسن بن الفضل : لو ذكروا هذه المقالة تعظيما وإجلالا D ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك لأن اء تعالى قال : { ولو شاء اء ما أشركوا } وقال : { ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء اء } (الأنعام 111) والمؤمنون يقولون ذلك ولكنهم قالوه تكذبا وتخرضا وجدلا من غير معرفة باء وبما يقولون نظيره قوله D : { وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم } (الزخرف 20) قال اء تعالى : { ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون } (الأنعام 116) .

وقيل في معنى الآية إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذرا لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان ورد عليهم في هذا لأن أمر اء بمعزل عن مشيئته وإرادته فإنه يريد لجميع الكائنات غير أمر بجميع ما يريد وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته فإن مشيئته لا تكون عذرا لأحد .

{ قل هل عندكم من علم } أي : كتاب وحجة من اء { فتخرجوه لنا } حتى يظهر ما تدعون

على أن تعالٰى من الشرك أو تحريم ما حرمتم { إن تتبعون } ما تتبعون فيما أنتم عليه {
إلا الظن } من غير علم و يقين { وإن أنتم إلا تخرصون } تكذبون